ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (6094) السنة الثالثة والعشرون - الاثنين (23)شباط 2026

www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

نوري السعيد

هل قتل ام انتحر؟

في ذكراه التسعين

الزهاوي كما يصفه رفائيل بطي سنة 1923

إعداد : ذاكرة عراقية

فيلسوف عربي، انكشفت له من الحياة أسرار، فأودعها شعرَه الراقي ونثره المتين.

نابغة من ذوي العقول الكبيرة، خلب لبُّه نظامُ هذا الكون فراح يفكر في معجزاته غير مُعتمدٍ في تفكيره على أجنبي.

شاعر سبَّاق في حلبة البلاغة، يُصَوِّر ما يخفق به قلبه في أبيات عامرات وقوافٍ مُحكمات، وينظم منثورات الحقائق العلمية في قلائد شِعرية ليجمع بين العلم والفن.

لم ينفرد ببحث، بل أحبَّ أن يستجمع حبل الأبحاث التي لم يفتح الله بها على قلوب وطنيه؛ فنبذ هؤلاء أفكاره أولًا وضربوا بأقواله عُرض الحائط — وهذا شأن النوابغ والمصلحين — حتى إذا ما انبعثت إلى نشئهم الحديث أنوار التهذيب من كوى العلم، تجلت لهم محاسن أفكاره فأكبروها، وتبيَّنوا قدر أقواله فصفقوا لها تصفيقًا عاليًا؛ فهو اليوم شاعر الشبيبة الناهضة على شيخوخته.

•••

نشأ الزهاوي في بيئة تصوحت أزاهير الأدب فيها بعد الازدهار، ودرست معالم العلم بعد أن ناطحت بعلوها أجواز الفضاء، فراعه الجمود الهائل المستولي على الفهوم والأقلام، واستنكر الطريقة البالية التي يتبعها النظامون في بنائهم الأبيات، مُقلِّدين غير مُبتكرين ينسجون على منوال الشعر للسالفين من غير ما تأثر بالرُّوح الجديد، فلم تأنس روحه الناهضة بهذه الحطة، وعزَّ على عقله المتوقد ذكاءً أن يبقى مصفدًا بأغلال التقليد؛ ففر إلى حيث يغرد له فؤاد في شواهق صروح الفن الحديث، بعد أن فك الأغلال وحطم القيود، داعيًا قومه إلى النهضة والانتعاش في الفكر والقول والعمل.

نزل إلى الميدان؛ ميدان مكافحة القديم البالي، ليطرده ويحل مكانه الجديد العصري، وهو لا يملك غير فؤاد حساس، وفكر ناضج وقلم محدد، فتجافى عن المديح والثناء، وكفكف دموع الرثاء والبكاء على الطلول الهمد، ونظم في أبواب من الشعر جديدة، مخرجًا للناس قصائد تحوي روائع المعاني، مُتبعًا في نظمه السَّنن المُستحدث، كما أنه أغار على العادات السقيمة والأخلاق المنحطة، التي كوَّنتْها في مجتمعه عصورُ الانحطاط، فمزقها أيَّ ممزق، ورأى ذلك المخلوق اللطيف — المرأة — أسيرًا بدار الظلم أعياه أسره، واستبد به، فعز على مروءته إهمالها؛ فجرد لذلك قلمه البليغ، وكتب في الدفاع عن حقوق ضلع الرجل مقالات، ونظم قصائد أقامت العراق، بل الشرق العربي، وأقعدته، وقد نكب بمحن صعبة من جراء نصرته للجنس الضعيف، فإذا تسنَّى لابنة العراق أن تنتبه غدًا من رقدتها، وتبلغ ما بلغته أختها السورية أو المصرية من الرُّقي، فلتذكرْ فضل «الجميل» عليها، ولتغنَّ بشعره الخالد الذي نظمه في المطالبة بحقوقها المسلوبة.

•••

شُغف الأستاذ الزهاوي بالعلوم الطبيعية في شبابه، فشرع يطالع ما تكتبه المجلات العلمية في هذا الباب وفي مُقدمتها «المقتطف»، مطالعة الباحث المُنقب، يُريد إدراك أسرار الوجود، ثم أظهر نتيجة درسه للطبيعة في كتابه «تعديل الجاذبية»، الذي جاء فيه غير مُترجم عن أجنبي — وهو لا يُحسن لغة أجنبية — ولا ناقل، بل أبرز به ثمرةً من ثمار القرائح الشرقية. ومع أنَّ جُلة العلماء الغربيين والشرقيين لم يُوافقوه على آرائه تلك، فحسبه فخرًا أنه أول عربي هجر التقليد، وحاول حل غوامض العلم الطبيعي مُعتمدًا على عقله وحسه.

•••

وهو ابن العلامة محمد فيضي الزهاوي مُفتي بغداد، ينتسب أبوه إلى أمراء الأكراد من آل بابان، وهؤلاء يمتون إلى خالد بن الوليد (رضي الله عنه)، وكذلك أمه فيروزج، فهي من أسرة كردية كريمة، وأمَّا شهرته بالزهاوي فنسبة إلى «زهاو»، أحد أعمال ولاية كرمنشاه الفارسية، كانت موطن جدته لأبيه.

وُلد جميل صدقي في بغداد، في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٧٩ هجرية، يوم الأربعاء الموافق ١٨ حزيران سنة ١٨٦٣ ميلادية، وهو اليوم في الستين من عمره نحيف البدن لا يستطيع أن يمشي على رجليه أكثر من بضع دقائق؛ لذلك قد اتخذ له أتانًا بيضاء يقطع عليها الشوارع عندما يسير من محل إلى آخر، ويشكو فوق آلامه الروحية آلامًا عصبية قد برحت به.

•••

عُيِّنَ المترجم قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره في ٢ تموز سنة ١٣٠٣ هجرية عضوًا في مجلس المعارف في بغداد، ثم مديرًا لمطبعة الولاية فيها في ١ نيسان سنة ١٣٠٦ هجرية، ومحررًا للقسم العربي من جريدة «الزوراء» الرسمية، وانتُخب بعدها عضوًا لمحكمة الاستئناف في بغداد في ٥ نيسان سنة ١٣٠٨ هجرية.

وقد أصابه في سن الخامسة والعشرين داء عضال في نخاعه الشوكي سلبه الراحة، ولم يبرأ منه إلى الآن برغم معالجة نُطس الأطباء له، كما أنَّ رجله اليُسرى أصيبت بشلل وهو في الخامسة والخمسين من عمره.

وكبُر شأنه بعد سفره إلى الآستانة سنة ١٨٩٦، مدعوًّا التركي الشهير، ثم نفيه إلى بلاده.

•••

وكان بعد رجوعه من الآستانة إلى مدينة السلام، أنَّ أحد رؤساء الوهابية في بغداد أخذ يُحرض عليه الحكومة تارة، بحجة أنه يطعن بسياسة السلطان عبد الحميد، وطورًا يرميه بالكفر والزندقة، وذلك على عهد عبد الوهاب باشا الألباني والي بغداد، وكان الوالي هذا يُعاديه، فكتب إلى المراجع يطلب إبعاده عن الديار العراقية إلى بلاد قَصية، فاضطر الأستاذ إلى أن يؤلف كتابه «الفجر الصادق» في الرد على الوهابية، مُصَدِّرًا إياه بمدائح السلطان عبد الحميد مخافة أن يناله المعتدون بسوء، وتبكيتًا لذلك المحرض الوهابي.

•••

ولما جاء الدستور أخذ الأستاذ جميل الزهاوي يخطب في الناس، ويعلمهم فوائده وحسناته.

ورحل المترجم في السنة الأولى من الانقلاب العثماني إلى القسطنطينية، فعُيِّن في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٣٢٤ هجرية أستاذًا للفلسفة الإسلامية في أكبر مدارسها، وهو المكتب الملكي، وعُيِّن كذلك في تشرين الثاني سنة ١٣٢٤ هجرية مُدرِّسًا للآداب العربية في فرع الآداب من جامعة «دار الفنون»، وكان يكتب في أوقات فراغه في مجلات الآستانة التركية مقالات فلسفية حتى اشتدت عليه أمراضه بعد سنة، فهاجه ذكر الوطن المُحبَّب فقصده وجاء الزوراء، فعُيِّن مُدرسًا للمجلة في مدرسة الحقوق فيها، وظل يُواصل «المقتطف»، و«المؤيد» بالقصائد والمقالات حتى نشر مقالته الشهيرة في العدد الـ ٦١٣٨ من «المؤيد» بعنوان «المرأة والدفاع عنها»، فأحدثت ضجة كبرى في العالم العربي الإسلامي، فهاج الناس لها وماجوا في بغداد، وأشاعوا بأنَّ الكاتب تحامل على الشريعة الغرَّاء، ونهبوا متجهرين في ٢٨ أيلول سنة ١٣٢٦ هجرية إلى والي بغداد، وهو يومئذ ناظم باشا، يطلبون إليه عزل الكاتب من وظيفته، وساعدهم في طلبهم أحد مبعوثي بغداد، فأقاله الوالي، واشتدَّ سخط الجمهور عليه في هذا الحين، حتى اضطر الأستاذ إلى مُلازمة داره خوفًا من الاغتيال، جرى ذلك في ظل الدستور، وشمسُ الحرية ممدودة الظل، وكان فيمن نصر الأستاذ الزهاوي في محنته هذه الدكتور شميل والمرحوم ولي الدين بك يكن في مقالات نشرها في «المقطم»، وغيرهما في سورية ومصر.

وفي هذه الأونة نشر الزهاوي في بغداد كتابه «الجاذبية وتعليلها»، ثم ألَّف رسالة «الدفع العام والظواهر الطبيعية والفلكية»، ونشرها في «المقتطف».

وأعيد إلى تدريس المجلة في مدرسة الحقوق في بغداد على عهد جمال باشا والبهاء، ثم انتُخب نائبًا عن المنتفق، فذهب إلى الآستانة، وأقفل المجلس بعد أشهر من اجتماعه فعاد الأستاذ الفيلسوف إلى وطنه، وما لبث أن انتُخب نائبًا عن بغداد فذهب إلى دار الملك العثماني ثانية، وقد دافع في البرلمان العثماني دفاع الأحرار عن حقوق العرب في مواقف عديدة؛ مما نَمَّ على وطنيته الصادقة. وكان في بغداد حين الاحتلال البريطاني، فعُيِّن في حكومة الاحتلال المؤقتة عضوًا في مجلس المعارف براتب زهيد، ثم عُين بعد مدة طويلة رئيسًا للجنة ترجمة القوانين العُثمانية، والحق يُقال إن تلك الحكومة المؤقتة لم تقدِّر علم الأستاذ الزهاوي وفضله؛ إذ لم تسند إليه منصبًا خطيرًا يليق به، وهي معذورة في عملها لأنها كانت تُعين الموظفين — وبالخاصة الكبار منهم — لغايات سياسية حسبما تقتضيه الظروف، فلا تنظر في تعيينهم إلى مقدرة أو تضلُّع من علم أو خبرة في أمر.

إليها بإرادة سُلطانية، فمَرَّ في طريقه بمصر حيثُ قابل نُخبة من أكابر العلماء وأساطين الأدب، أمثال الدكتورين يعقوب صروف وفارس نمر صاحبي «المقتطف»، و«المقطم»، والدكتور شبلي شميل، وجرجي بك زيدان مؤسس الهلال، والشيخ إبراهيم اليازجي الشهير، ولقي منهم كل حفاوة.

ذهب إلى الآستانة فأخذ الجواسيس يتأثرونه، ولما علم السلطان عبد الحميد أنَّ عددًا من محرري الجرائد يترددون عليه أوجس منه خيفة، وأوعز إلى أبي الهدى الصيادي ألا يغفل عنه، وأراد الأستاذ الزهاوي بعد سنة أن يرجع إلى بغداد؛ فإذا السلطان يأمره بإرادة سنية أن يلحق بالبعثة التي كانت قد تألفت هناك للذهاب إلى اليَمن لإصلاحه؛ فذهب إليها ورجع بعد سنة إلى الآستانة، وأحسن السلطان مكافأته على خدماته بالوسام المجيدي الثالث، ورتبة (البلاد الخمس الموصلة)، ورأى في رجوعه أنَّه لم يزل محاطًا بالجواسيس فساءه ذلك، وطلب الرُّجوع إلى وطنه فلم يُسمح له خشية أن تكون وجهته غير بلاده.

وقد قاسى بعد رجوعه إلى الآستانة الأمرَّين، حتى ضاق صدره فنظم قصيدة يذم فيها سياسة عبد الحميد وسلوكه، منها:

أيأمر ظلُّ الله في أرضه بما نهى اللهُ عنه والرسولُ المبجلُ
فيُفقِر ذا مال ويَنفي مبرَّأً ويسجن مظلومًا ويَسبي ويَقتلُ
تمهَّل قليلًا لا تغفلْ إنه إذا تحرك فيها الغيظ لا تتمهل
وأيديك إن طالت فلا تغترَّ بها فإنَّ يد الأيام منهن أطولُ

وأنشدها أبا الهدى في داره، وهذا كتب بها تقريرًا إلى السلطان؛ فكان ذلك سببًا لسجنه مع الشهيد العربي المرحوم عبد الحميد الزهراوي، وصفا بك الشاعر العلم الطبيعي مُعتمدًا على عقله وحسه.

•••

وهو ابن العلامة محمد فيضي الزهاوي مُفتي بغداد، ينتسب أبوه إلى أمراء الأكراد من آل بابان، وهؤلاء يمتون إلى خالد بن الوليد (رضي الله عنه)، وكذلك أمه فيروزج، فهي من أسرة كردية كريمة، وأمَّا شهرته بالزهاوي فنسبة إلى «زهاو»، أحد أعمال ولاية كرمنشاه الفارسية، كانت موطن جدته لأبيه.

وُلد جميل صدقي في بغداد، في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٧٩ هجرية، يوم الأربعاء الموافق ١٨ حزيران سنة ١٨٦٣ ميلادية، وهو اليوم في الستين من عمره نحيف البدن لا يستطيع أن يمشي على رجليه أكثر من بضع دقائق؛ لذلك قد اتخذ له أتانًا بيضاء يقطع عليها الشوارع عندما يسير من محل إلى آخر، ويشكو فوق آلامه الروحية آلامًا عصبية قد برحت به.

•••

عُيِّنَ المترجم قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره في ٢ تموز سنة ١٣٠٣ هجرية عضوًا في مجلس المعارف في بغداد، ثم مديرًا لمطبعة الولاية فيها في ١ نيسان سنة ١٣٠٦ هجرية، ومحررًا للقسم العربي من جريدة «الزوراء» الرسمية، وانتُخب بعدها عضوًا لمحكمة الاستئناف في بغداد في ٥ نيسان سنة ١٣٠٨ هجرية.

وقد أصابه في سن الخامسة والعشرين داء عضال في نخاعه الشوكي سلبه الراحة، ولم يبرأ منه إلى الآن برغم معالجة نُطس الأطباء له، كما أنَّ رجله اليُسرى أصيبت بشلل وهو في الخامسة والخمسين من عمره.

وكبُر شأنه بعد سفره إلى الآستانة سنة ١٨٩٦، مدعوًّا

عن كتاب (الادب العصري في العراق العربي) الجزء الاول .. قسم المنظوم

نهاية نوري السعيد.. هل قتل ام انتحر؟

إعداد : ذاكرة عراقية

لم تزل قضية مقتل نوري السعيد في اليوم التالي من يوم الثورة في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، من الاحداث المثيرة التي يكتنفها الغموض ، وتتعدد الروايات في الطريقة التي انتهت بها حياة السياسي العراقي الذي كان قطب الرحى في العهد الملكي ، بل ان العهد الملكي في عهده الاخير نبز باسمه واصبحت مسؤولية تراجعات ذلك العهد ، ولا سيما تلك التي تتعلق بالعلاقة مع الحركة الوطنية المعارضة التي وجهت اقسى الاتهامات الى نوري السعيد والصقت كل سيئات العهد به ..

ان قضية مقتل نوري السعيد يوم ١٥ تموز ١٩٥٨ من الاحداث الجديرة بالبحث والتحقيق لاهميتها التاريخية المثيرة ..

نقدم في هذه السطور اخطر رواية على ما نعتقد واكثرها قربا من الحقيقة انها رواية يحيى الدراجي الذي تولى التحقيق بهذه القضية بطلب من مديرية الاستخبارات العسكرية في وزارة الدفاع ، وهذا التحقيق لم يبق منه سوى شهادة القائمين بالتحقيق بعد ان فقدت الاضبارة التحقيقية الخاصة بالقضية ..

لنقرأ رواية الدراجي :

بأمر من الحاكم العسكري العام انذاك المرحوم احمد صالح العبدي البلغني المرحوم رفعت الحاج سري. مدير الاستخبارات العسكرية ، حيث كنت الحاكم (القاضي) المنتدب للتحقيق في مقر مديرية الاستخبارات العسكرية بالتحقيق مع رجلين لهما معلومات عن مصرع نوري السعيد جلبها السيد حامد جاسم الذي قدمه لي ليلا ،ماجد محمد امين على انه أخ الزعيم عبد الكريم قاسم. فبدأت بتدوين اقوال حامد جاسم في غرفة معاون مدير الاستخبارات العسكرية الرئيس الاول خليل ابراهيم في المديرية المجاورة لغرفة المدير وبحضوره . ظهر من الاقوال المدونة في الاضبارة التحقيقيةان نوري السعيد ترك دار محمود الاسترابادي بصحبة زوجة الاسترابادي. ببيبة سيد علي قطب، وخادمتها الفارسية زهرة حيدر بعد ظهر يوم ١٥/تموز ١٩٥٨ في سيارة تعود لآل الاسترابادي. بملابس النساء . العباءة والبوشي .ليكون نوري السعيد مختفيا عن الانظار فكان كتاعبات عمر بن ابي ربيعة. ثلاثة اشخاص كلهم كاعب المظهر قصدوا دارا بالبتاوين تعود لاخ الوزير ضياء جعفر ولكنهم تركوها وطلب نوري السعيد التوجه الى دار الشيخ الاقطاعي المعروف انذاك محمد العريبي شيخ البو محمد في العمارة يقيم في بغداد مع زوجته في الحجيلة فتنة لانه عضو في البرلمان ومعه .الملة ،وهو سكرتير نوري السعيد التوجه الى دار الشيخ الاقطاعي موكبهم ماشيا.. ولعدم التأكد من الدار صاروا يركضون فسقط الرداء الاسود . العباءة من على رأس نوري السعيد فسحبها لفوق وظهر شعر رأسه وطرف بجامته الزرقاء فصاح الاطفال "هذا رجال يلبس لبس نسوان" فتجمع رجال المحلة ونساؤها وطاردوهم وكان نوري السعيد يقاوم ويطلق النار على ملاحقيه ويحتمي بمداخل البيوت وهي في محلة البتاويين تكون فوق وخلف عتبة مرتفعة قليلا، وانه اصيب بطلق ناري... واصيبت زوجة محمود الاسترابادي. ببيبة قطب بطلقة قاتلة من المهاجمين من اهل المنطقة واصيبت الخادمة الايرانية في غير مقتل ثم حضر اهل المحلة الى موقع الحادث.

وبعد حوالي الربع الى النصف ساعة حضر المقدم وصفي طاهر فقد قتل من الجنود.. فوجد نوري السعيد مطروحا مصابا بطلق ناري في رأسه لا يعرف الذي قتله. لذلك جاء الشك بأنه انتحر ولم يخرج التحقيق بنتيجة واضحة تماما.

هل قتل ام انتحر؟..

لسبب واضح بسيط هو ان وصفي طاهر افرغ عتاد رشاشته في جسد نوري السعيد وهو ميت وقد يكون بمشاركة الجنود الذين معه وقد طلب وصفي من الجمهرة الموجودة سحب الجثة الى ساحة النصر القريبة ووضع الجثة في سيارته العسكرية . الستيشن . الى باب وزارة الدفاع حيث تاقفها غضب الجماهير وسحلوها واحرقت قرب محلة الفضل ولم يبق من شهود الحادث حيا سوى الخادمة زهرة حيدر وقد فقد التحقيق اهم عنصر فني لكشف الحقيقة وهو التقرير الطبي العدلي الذي يوضح سبب الوفاة في كل حادثة قتل وهو دليل التحقيق في قضايا القتل عموما وبمختلف انواعه.

وقد ادلى وصفي بحديث صحفي يومها الى مراسل جريدة الاهرام القاهرية اذ كان في بغداد ونشر على الصفحة الاولى في عددها الوارد بعد الحادث مع صورة كبيرة لوصفي طاهر مع مانشيت باللون الاحمر "انا قتلت نوري السعيد" وحيث اني كنت اراقب المطبوعات في دائرة الاستخبارات العسكرية معاونا لرفعت الحاج سري فقد استقدمت وصفي طاهر وافهمته ان هذا النشر حدث بدون اذن لتقدير اهمية نشره واعلانه لايجوز له وانما للجهة العليا.

ومنعت توزيع ذلك العدد ولم يوزع فعلا.

اين الاضبارة التحقيقية الان؟..

لا ادري.. واغلب الظن انها كانت مع الاضابير التي جمعتها ثورة تموز ١٩٥٨ في وزارة الدفاع وبعد ان هوجم عبد الكريم قاسم في مقره بوزارة الدفاع في يوم ٨/ شباط ١٩٦٣ ودك المقر ربما احترقت الاضبارة او تلفت مع مثيلاتها وربما تكون مازالت موجودة في مكان ما.

ولكن .. ماذا حدث للقوة المكلفة من قبل قيادة الثورة بالقبض على نوري السعيد..؟..

لقد كان دليل القوة المهاجمة لدار نوري السعيد على الضفة القريبة لنهر دجلة. الكرخ. المقدم وصفي طاهر لكونه مرافقا سابقا لنوري السعيد يعرف الدار مدخلا ومخرجا فلما وصلت القوة المكلفة بالمهمة وانتشرت حول الدار والدور المجاورة بما فيها دار الدكتور الاسترابادي وصل وصفي طاهر الدار وفتش عن نوري السعيد الذي كان وحيدا في داره ليلتئذ فلم يجده فظن وصفي انه هرب من النفق المؤدي الى النهر حيث يوجد زورق بخاري لنوري السعيد فلم يجد وصفي طاهر شيئا واكثر الظن انه في تلك اللحظة كان نوري السعيد في الزورق مع صيادي الاسماك حسن وحسين مغربا في النهر قاصدا مركز الشرطة للاتصال بسعيد قزاز بالتلفون لمعرفة ما يجري وعندما يئس وصفي طاهر عاد للدار يفتشه هو ومن معه وبذلك تمكن نوري السعيد من الافلات من قبضة القوة التي كانت تحاصر الدار بدلالة وصفي طاهر، والهرب من دار الدكتور صالح مهدي البصام بسيارة اخيه مرتضى المرسيس الحمراء.. كما ذكرنا.. متابعا طريق الصالحية فالكاظمية، فدار الاسترابادي القديمة الكبيرة حيث قضى ليلة الرعب الكبير هناك. وعندما شعر نوري السعيد بان لا نجدة للحكم الملكي من الخارج وتيقن من سيطرة الثوار الجمهوريين على البلد، قرر الهروب.. الى اين؟ وكيف؟.. هنا جاءت الافادات التي ضبطت اخر التحقيق مفسرة لها..

من النجف دخل حياتي ماركس، هذه كبرى المفارقات في حياتي..

حسين مروة

17 شباط... يوم المثقف العربي
الشهيد حسين مروة

1ـ2

رحلت إلى النجف صغيراً.. لكن الحلم الذي رحل معي كان كبيراً كبيراً.. والمفارقة هنا إن الحلم هذا لم يستطع أن يعيش معي في النجف طويلاً.. لماذا؟.

–ألف سبب وسبب يمكن أن يقدم لي نفسه بهذه المناسبة، فأتعرفه وأعرفه جيداً، لكن السبب الحقيقي، المباشر أو غير المباشر، هو الوحيد الذي أجهله منذ البدء، وما زال...

أن أصير "شيخاً" مهيباً مرموقاً، كوالدي.. ذلك كان حلمي الأول، سبق كل أحلامي سبق حتى احلام طفولتي وحين بدأت تتدفق بها ذاتي اخذ يحتويها جميعاً، او هو: اخذ يلتهمها جميعا بشراسة. هذا الحلم لبسني قبل ان اجتاز سن الثامنة.. وليستني معه العمامة والجبة قبل اوانهما "الطبيعي" العمامة والجبة كرمز للحلم ذاته اولاً، وكأداة إلزام لي بموجبات الحلم ثانيا..

قلت: حلمي؟

–لا ، عفواً. ذلك كان، منذ البدء حلم أبي، ثم أمي والأسرة، ثم سائر العائلة في سائر جيل عامل.. ومذ بدأ يتكون كحلم لي، مات أبي.. لكن الحلم لم يمت، لأنه صار حلمي.. مات أبي وفي نفسه لهفة ان يبقى طويلاً حتى يتحقق الحلم.. مات وأنا في الثانية عشرة، فأحسست ثقل الحلم يفيض عن طاقتي، ابي كان يبدو لي انه من اهل اليسر المادي، فإن منزلنا في "حداثا" لم يكن يخلو من الضيوف على مدار العام، ولم تكن الضيافة- مادة وطريقة –تنزل عن مستوى الضيافة المألوفة عن أهل اليسر في بلادنا في ذلك الزمن.. وظهر لي فور موت أبي اننا من اهل الفقر، لا من أهل اليسر، وفجأة رأيت أننا صرنا في مكان مكشوف جدا بين صفوف الفقراء من اهل بلادنا.. كيف اذن احمل الحلم، بعد؟

–في البداية حملته وحدي، اخذت اطوف به من بلدة الى بلدة، باحثاً له عن غذاء علمي اولي عند اهل العلم من بقايا الجيل الدارسة في جبل عامل، متكئياً بالأقل الاقل من ضرورات الغذاء الجسدي..

ثم كان "لابد من صنعاء".. وكانت "صنعاء" حينذاك هي النجف دار الهجرة الاولى لكل شيعي في العالم يحلم كحلمي ذاك.. الحلم سيبقى قاصراً، سيبقى فجاً ان لم تلفحه شمس النجف، سيتحول قزماً الى النهاية ان لم أدركه، قبل فوات الاوان، بالهجرة سريعا الى النجف –وكانت الهجرة(١٩٢٤)..

لم يستطع الحلم ان يعيش معي في النجف أكثر من عام واحد..

لن اقول: لماذا، مرة اخرى، لأنني سأقول مرة اخرى أيضاً: ان السبب الحقيقي هو الوحيد الذي أجهله من بين الاسباب الكثيرة التي تعرض نفسها لي في مسافة طويلة من مسافات الذاكرة، كلما عرض لي هذا السؤال..

لكن، إذا كنت أجهل حتى الان ذلك السبب الحقيقي الخفي، فإني اعرف، وما نسيت قط، ان ذاك الحلم الطيب الاليف بدأ ينتابه الضمور والذبول في ذاتي، أي أخذ يفقد –شيئاً فشيئاً – صفته كحلم لي، ليعود اخيراً الى ما كأنه في البدء: حلم الاسرة والعائلة في جيل عامل فحسب..

العام الاول لهجرة النجف، ما كان ينقضي حتى رأيت خاطراً فاجراً صارماً يعترضني يريد ان يحملني على الاختيار الحاسم في مسألة دقيقة للغاية، وهي مسألة تحديد وجهة المصير: مصير حياتي كلياً..

كان علي ان اختار: إما قرار العودة الى الارتباط النهائي بذلك الحلم الذي حملني هو الى دار الهجرة، النجف: أي ان اقرر – منذ لحظتي تلك – متابعة السير في مسار "المهنة" التي كانت كل مطمح الحلم.. واما ان أقرر الانعطاف القاطع عن هذا المسار. الاختيار، لأنه لم يرتفع الى مستوى كونه أحد طرفي الاختيار، ما كان يعنيني –في لحظتي – سوى ان اختار إما متابعة الخط المرسوم لي من قبل، وإما الانعطاف عنه، وان الى المجهول؟

لم أتردد مطلقاً.. اخترت فوراً..

وانقطعت العلاقة المباشرة مع الحلم وغابت – تواً – من حياتي الى النهاية صورة "الشيخ المهيب المرموق" التي كانت هي نفسها صورتي كما رسمنا لي الحلم..

–الى المجهول؟..

–لا. سرعان ما تحول المجهول معلوماً. ذلك بفضل الحلم المنطفئ ذاته.. بفضله هو – نعم..فهو الذي اشعل في داخلي، منذ الصغر، لهفة الاسئلة، شهوة التطلع الى كل افق، نزعة التلفت الى كل الجهات، أي اشعل بي حافز المغامرة في طلب المعرفة حتى في اعمق غايات المجهول.. بفضل هذا الحلم الذاهب عني، أو الذاهب انا عنه بأخيار حاسم.. لكن الذهاب هنا ليس ذهاباً عن العمق والجذور، لم يكن الذهاب هنا انقطاعا عن العمق، ولا انفصالا عن الجذور. بفضل الحلم الذاهب نفسه، وجدت داخل عالمي المغلق إذذاك نافذة تنفتح على المجهول.. فرأيت دربي مضيئاً وحددت هدف المسير واضحاً..

المجهول الذي صار معلوماً، هو العلم اذن..هو العلم، نهجاً وهدفاً معاً، كيف الدخول في هذا المجهول / المعلوم؟

كيف، وقد تحولت العلاقة مع الحلم الذاهب، أي مع طريقي الوحيد حينذاك الى العلم، تحولاً يعني انسداد هذا الطريق أمامي تلقائياً، كما هي طبائع الامور في مثل وضعي ذاك؟

لابد من الدخول. هكذا قلت..

سأبقى في النجف.. سأتابع الدراسة في النجف، هكذا صممت ذلك هو الاختيار الثاني الحاسم: سأبقى، سأتابع برغم كل الاسئلة المستنفرة في داخلي ضد هذا الاختيار، برغم كل الاثار المحتملة في داخل ذاتي حيال هذا القرار، برغم كل المخاوز التي ستتصوب الى خاصرتي عند كل خطوة سأتمكن من انتزاعها في مكاني ذاك من دار الهجرة: النجف..

سأبقى.. سأتابع لكن الهدف واحد احد، هو المعرفة، هو العلم دون "المهنة"..سأبقى وأتابع الدراسة النجفية حتى استكمال مراحلها جميعاً، أي حتى بلوغ القمة لهذه الدراسة.

وبقيت ، وتابعت بالفعل، وان حدثت خلال سني دراستي الاربع عشرة، اختراقات قصيرة وعابرة لهذا القرار/الاختيار..

القرار/الاختيار الاول، والقرار/الاختيار الثاني، احدثا في حياتي تغيرا دخل في عمقها الاعمق: امتلكت حريتي، أي امتلكت حقي بأن اقرر ان اعنا حيال نفسي، واين أنا حيال"الاخرة"؟ تحررت اذن.. واذا كنت بقيت، وتابعت، فقد صرت اشعر ان بقائي ومتابعتي صادران عن قراري واختياري..واذا كنت مضيت اقرأ وأدرس الكتب والعلوم نفسها التي يقرأون ويدرسون في النجف، فقد صرت اشعر انني اقرأ وأدرس بقراري واختياري.. هذا الشعور وذاك فتحا لي ابوابا للدخول في عالم أوسع للقراءة والدرس..

في احدى لحظات الحوار مع النفس، قلت:

–هل تحررت حقا؟

كان الجواب واضحاً وبديهياً: نعم –اذن، لماذا لا اتجاوز الخطوط الحمر الرادعة عن القدرات الاخرى وعن العلوم الاخرى، أي خارج القراءات والعلوم "الحلال" وحدها في عرف النظام الدراسي النجفي آنذاك؟.

اما الاجابة عن هذا السؤال.. أي ان الخطوط الحمر ذاتها كنت بدأت أقتلعها –واحدا واحدا– من مكانها التقليدي الفاصل بين "المحرمات" و"المباحث" من انواع المعرفة البشرية المعروفة عندنا حتى ذاك الحين..

لم يبق في اعتباري اذن، فاصل "يحرم" قراءة "او معرفة" او علما في جانب، و"يحل" قراءة او معرفة او علما في جانب اخر، هذه مرحلة جديدة لتحولاتي الداخلية لكنها مرحلة تعرضت عندها –لحظة ما – لحالة من فقدان التوازن ..حالة خطرة كانت اولا انني تداركت الامر سريعا، كاد اقتلاع "الفاصل" يحدث طغيانا للقراءات الحرة على القراءات النظامية، ولم تطل حالة الطغيان هذه، أي حالة فقدان التوازن.. بادرت لتنظيم "يوميات" القراءة والدرس لكي يتوافر لي التوازن، كان ضرورياً لي ذلك، لأنني حين اخترت البقاء في النجف ، انما اخترته لمتابعة الدراسة الخاصة بها، أي اخترت هذا اللون من المعرفة الذي تقدمه النجف.. كان قد استهواني منذ بدأت تتوضح لي معالمه التخصيصية هناك، في كل من علوم: النحو والمنطق والبلاغة واصول الفقه، والفقه الاسلامي، واستهواني– بالاخص –اسلوب التعامل بين المتعلم والمعلم والنص، وهو اسلوب يضع المتعلم فور حضوره احدى حلقات الدراسة، امام مسؤوليته الصارمة عن نفسه، أي عن شكل علاقته الاستيعابية مع المعلم ومع نص الكتاب الدراسي..اسلوب يدع المتعلم –بصورة تلقائية – متحررا من التبعية لفكر المعلم او لفكر النص، ويوسع له فسحة الاستقلال الفكري، وحرية المناقشة الجدية مع المعلم ومع النص دون كوابح.. لابد اذن –من توفير الحالة القصوى للتوازن بين الافادة من مزايا الدراسة هذه، الافادة من ولوج ابواب المعرفة كل يوم، خارج نطاق الدراسة "النظامية" أينما وكيفما تيسر لي الولوج في أي باب من ابواب المعرفة..

كان الوصول الى النجف والصحف الدورية الصادرة من مختلف البلدان العربية ومن مصر ولبنان بخاصة متيسرا في النجف أي خارج "اسوار» المحيط الدراسي الديني..كان يتوافر لنا هناك ان نقرأ كتابات المفكرين والعلماء والكتاب والمبدعين من رجال القرن التاسع عشر والثلث الاول فما فوق من القرن العشرين.. وكذلك الكتابات الفكرية والعلمية والادبية المترجمة.. عن مفكرين وعلماء وادباء عالميين..مادة القراءة "المحرمة" علينا آنذاك كانت من الغزارة بحيث يضيق وقتنا عن استيعابها ، ونحاول جهدنا ان لاندع لحظة من الزمن تتسرب من ايدينا هدرا دون كسب معرفة ما.

هذه المرحلة في حياتي هي مرحلة الخصب المعرفي.. قرأت فيها اشتاتاً من المعارف لا تنتظمها وحدة، بل يتخللها الاختلاف حتى التناقض..كنت اقرأ الادب الرومانسي، مع الفكر العلمي ، مع الكتابات العلمية الخالصة، مع البحث الاجتماعي: نظريا وميدانيا وذاكرتي للعهد الاول من هذه المرحلة تحتفظ باسماء اعلام وكتب ومجلات ما يزال لها وهجها الخاص عندي، برغم مسافة ما بيني وبينها الان، ذلك الوهج النفاذ الذي علمني كثيراً ومهد لي الطريق الى ماركس، ثم وصل بي الى ماركس..

عن مجلة (الطريق حزيران عام ١٩٨٤ –عدد خاص بمئوية ماركس)

زواج الملك غازي من الملكة عالية .. اسرار وقضايا

قاسم حلو الغرابي

عندما توفي الملك فيصل الاول في ٨ ايلول ١٩٣٣ في مدينة برن بسويسرا، فتوج ابنه غازي الاول ملكا على العراق يوم ٤ نيسانوبعد فترة قليلة ظهرت هناك علاقة وطيدة التي تربط بنات ياسين الهاشمي ببنات الملك فيصل الاول بفضل الزيارات العائلية المتبادلة بين الاسرتين وباتت نية الملك غازي ان يتزوج الأنسة نعمت وهي البنت الصغرى لبنات ياسين الهاشمي وقد جاءت هذه الرغبة نتيجة تلك العلاقة، ولاسيما ان الملك غازي قد وقع نظره عليها فاعجب بها ، وشجعته على ذلك شقيقاته من ابنة عمه (، وبعد اتمام الخطوبة كلف الامير عبد الاله بالذهاب الى الامير عالية التي تتواجد في وقتها في الاستانة تصطاف فيها مع والدتها وشقيقاتها عند جدتها لامها التركية الاصل (ملك خانم) وبالفعل سافر الامير عبد الاله الى الاستانة واخبر شقيقته عالية بأنه جاء الى استانبول ليعلمها بأن الملك غازي خطبها من مهر الفريق (جعفر العسكري) لمنح هذا الزواج بأي شكل من الاشكال اعتقاداً منه بأنه سيشكله من خطوة على مستقبل العراق السياسي وبالذات مستقبل العرش ، إذ يتيح لياسين الهاشمي مركزاً خاصاً يقضي على طموحه السياسي.

وحول موضوع زواج الملك غازي يذكر (توفيق السويدي) ما دار بينه وبين الزعيم الايطالي (موسوليني)(الذي التقاه في مايس من عام ١٩٣٤ وتناقشا في ذلك الموضوع بما نصه : «انه كان يرجح ان يتزوج الملك غازي بإحدى بنات ملوك الدول العربية المجاورة للعراق ، او البلاد الاسلامية حتى تتأثر العلاقات وتتأيد الوشائج فيما بينهم اذ ما فائدة البقاء في دائرة ضيقة من القرابة مع العلم ان التوسيع فيها يؤدي الى نتائج مفيدة للبلاد .

ويذكر في هذا الصدد أيضاً(ناجي شوكت) تلقيت اشارة تليفونية في أحد الايام من ديوان الرئاسة لحضور جلسة مستعجلة في اليوم نفسه لمجلس الوزراء يعقدها فوق العادة وفعلا توجهت الى المجلس وحضرت الجلسة وقد وجدت نوري السعيد منفعلاً وفي حالة هياج شديد يخاطب الحاضرين بمانصه :«هاي عايزة يصبح ياسين الهاشمي عم الملك « وقد علمت ان الموضوع يتعلق برغبة الملك غازي للاقتران بابنة ياسين الهاشمي دون ابنة عمته الأميرة عالية(، وقد دعي مجلس الوزراء لعقد جلسة خاصة وسرية لمناقشة

ابعاد هذه المشكلة وخطورتها ، وبعد مناقشات حامية بين الإطراف خرج المجلس بنتيجة توافقية هي اقناع الملك غازي بالزواج من ابنة عمه عالية (.

وتحقيقا لهذا الغرض عزم نوري السعيد على تنفيذ ماتم الاتفاق عليه ، وكانت اهم الخطوات بهذا الاتجاه هي السفر الى الاردن والاتصال بالملك عبد الله من أجل الأسراع بتزويج الملك غازي بالاميرة عالية ، واستجابة لرغبة عمه الملك عبد الله وافق الملك غازي على خطوبته من ابنة عمه (، وبعد اتمام الخطوبة كلف الامير عبد الاله بالذهاب الى الاميرة عالية التي تتواجد في وقتها في الاستانة تصطاف فيها مع والدتها وشقيقاتها عند جدتها لامها التركية الاصل (ملك خانم) وبالفعل سافر الامير عبد الاله الى الاستانة واخبر شقيقته عالية بأنه جاء الى استانبول ليعلمها بأن الملك غازي خطبها من مهر الفريق (جعفر العسكري) لمنح هذا الزواج بأي شكل من الاشكال اعتقاداً منه بأنه سيشكله من خطوة على مستقبل العراق السياسي وبالذات مستقبل العرش ، إذ يتيح لياسين الهاشمي مركزاً خاصاً يقضي على طموحه السياسي.

وحول موضوع زواج الملك غازي يذكر (توفيق السويدي) ما دار بينه وبين الزعيم الايطالي (موسوليني)(الذي التقاه في مايس من عام ١٩٣٤ وتناقشا في ذلك الموضوع بما نصه : «انه كان يرجح ان يتزوج الملك غازي بإحدى بنات ملوك الدول العربية المجاورة للعراق ، او البلاد الاسلامية حتى تتأثر العلاقات وتتأيد الوشائج فيما بينهم اذ ما فائدة البقاء في دائرة ضيقة من القرابة مع العلم ان التوسيع فيها يؤدي الى نتائج مفيدة للبلاد .

ويذكر في هذا الصدد أيضاً(ناجي شوكت) تلقيت اشارة تليفونية في أحد الايام من ديوان الرئاسة لحضور جلسة مستعجلة في اليوم نفسه لمجلس الوزراء يعقدها فوق العادة وفعلا توجهت الى المجلس وحضرت الجلسة وفي الكوير استقبلها متصرف اربيل ومدير شرطتها وودعها هناك متصرف الموصل ومدير شرطتها عائدين الى عملهما ، وفي كركوك نزلت ضيفة كريمة في دار المتصرف وفيها تناولت الغداء مع الحاشية الملكية ، وفي الساعة السادسة والدقيقة الخمسين بعد الظهر استقلت الاميرة وشقيقها القطار الخاص مع الحاشية من كركوك الى بغداد وكانت بمعية قوة من الشرطة ، وفي الساعة السادسة من صباح اليوم الثاني وكان يوم الجمعة الاول من شهر كانون الاول ١٩٣٣ وصلت الاميرة عالية العاصمة وكان باستقبالها الامير حسين مندوبا عن الملك غازي ، و(تحسين قدري) امين العاصمة ومتصرف لواء بغداد وعدد كبير من كرام السيدات.

وعند نزول الأميرة من القطار استقبلت سيارة ملكية خاصة وقصدت مقر الحرم العام وقدمت التعازي الى جلالة الملكة الوالدة ، ومن هناك ذهبت الى قصر والدها الملك علي.

بعد انتهاء فترة الحداد على الملك فيصل الاول نشرت الصحف العراقية صباح يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٤ البيان التالي : سيتم قران حضرة صاحب جلالة الملك المعظم مساء اليوم (الخميس) لهذه المناسبة السعيدة سيتشرف رئيس وأعضاء مجلس الوزراء ورئيس مجلس الاعيان والنواب و رؤساء الوزارات السابقة يتناول طعام العشاء على المائدة الملكي وبناء على رغبة جلالته سوف لا تقام اية مراسيم اخرى نسأل الله تعالى ان يجعل قران جلالته مصحوبا باليمن والبنين وان يتمتع شعبه بالرغد الشامل والعز الدائم وفي مساء اليوم نفسه اي في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٤، وبعد مرور أربعة اشهر على رحيل الملك فيصل الاول تمت مراسيم عقد قران الملك غازي على ابنة عمه الأميرة عالية الذي اقتصر على افراد الاسرة المالكة والوزراء ورئيس مجلس النواب وقاضي بغداد وذلك احتراما لزعيم الأسرة الهاشمية ،،، وقد قام بعقد القران مفتى العاصمة السيد يوسف ال عطاء وشهود العقد كلا من السيد

جميل المدفعي رئيس الوزراء و(السيد محمد الصدر) رئيس مجلس الاعيان والسيد رشيد الخوجة رئيس مجلس النواب .

كانت حفلة القران بغاية البساطة ، إذ لم يدع لها أحد غير امراء البيت المالك والوزراء وقاضي بغداد ورئيس مجلس النواب مراعاة للحداد وقد حضر الملك عبد الله حفلة القران وفي مساء الخميس الموافق ٢٥ كانون الثاني من عام ١٩٣٤ ودع جلالة الملك علي والملكة نفيسه والدة الملكة عالية ابنتها لتنتقل من قصر الرحاب الى قصر الزهور الجديد.

انتقل العروسان الى قصر الحارثية القريب من قصر الزهور الملكي الذي لم يكتمل بناؤه على اعتبار انه لا يجوز ان تسكن ملكتان الملكة حزيمة والدة الملك غازي وزوجته الملكة عالية زوجته في قصر واحد ، وبعد اكتمال بناء القصر بدأت الملكة عالية حياتها كزوجة للملك غازي الذي قام بإعداد برنامج خاص من مدرسين ومدرسات على قدر عال من العلم لتعليم الملكة في التعامل الدبلوماسي ليكون باستطاعتها اداء متطلباتها كملكة .

كانت هناك بعض الملاحظات التي رافقت هذا الزواج وهي إن الموقف الذي وقفه نوري السعيد و الفريق جعفر العسكري من زواج الملك غازي من الانسة نعمت صغرى بنات السيد ياسين الهاشمي كان موقفا سياسيا من قبل نوري السيد ضد ياسين الهاشمي الامر الذي ربما كان سيغير من الاحداث السياسية التي مر بها العراق وهذا ما اشار اليه شوكت بمذكراته حيث قال:« لو كان الملك غازي قد اقترن بإحدى كريمات ياسين الهاشمي سواء الاصغر نعمت او غيرها في تلك الايام لم تحل الضغينات والتقاليد دون ذلك ، لرأينا كيف كان قد انقلب تاريخ العراق السياسي رأسا على عقب ، وسارت البلاد في اتجاه غير الاتجاه الذي سارت فيه بعدئذ ، ليبقى الامير عبد الاله بعيدا عن التدخل في رسم سياسة العراق والسيطرة على ابن اخته فيصل الثاني سيطرة تامة ، افقدت البلاد عزها وهنائها ،

وزجها في اتون غروره وصلفه وطيشه وفي تاريخ العالم كثير من الامثال على ان قران الملوك يغير مجرى التاريخ في البلدان التي يحكمونها حيث يؤدي ذلك الزواج الى اسعاد الملوك نتيجة لهذا القران .

كان الملك غازي على ما يظهر من سير الاحداث يرغب بالزواج من ابنة ياسين الهاشمي و ان زواجه من الملكة عالية فرض عليه، وتم تنفيذ هذا الزواج لرغبة والده الملك فيصل الأول ، إذ يبدوا ان الملك فيصل كان قد اوصى قبل وفاته بأن يقترن ولده غازي بالأميرة عالية كما تقرر ذلك فيما بين افراد البيت الهاشمي .

و لم يدر بخلد الأميرة عالية يوما انها ستتزوج من الملك غازي لأنها كانت مخطوبة لابن عمها الامير طلال بن عبد الله ولي عهد الاردن وان والديهما قد تفاهما حول هذا الموضوع ، ويبدو ان خطوبتها من طلال قد فسخت عندما جاء الامير عبد الله الى بغداد بوساطة نوي السعيد .

ويبدوا من خلال ما سبق ان زواج الملك غازي من الأميرة عالية دون احدى بنات ياسين الهاشمي وكما كان منتظرا منه قد كان سببا في الخلاف الذي كان مستترا بين الطرفين، ولم تكن الفرصة سانحة الى ياسين ليثأر لنفسه الا بعد ان استلم رئاسة الوزارة العراقية بتاريخ ١٧ آذار ١٩٣٥ ، إذ بدأ يحاول ان يطبق على الملك اجراءات شديدة الى حد انه كان يعتزم خلع الملك واعوانه واعلان الجمهورية الا انه تفاجأ بإنقلاب (بكر صدقي) .

عن رسالة (الملكة عالية سيرتها ونشاطها الاجتماعي في العراق ١٩١١–١٩٥٠)

مقاربة تأريخية بين واقعة شهداء دمشق وبيروت وإنتفاضة الحلة وشهدائها العام 1916

هيثم الحلي الحسيني

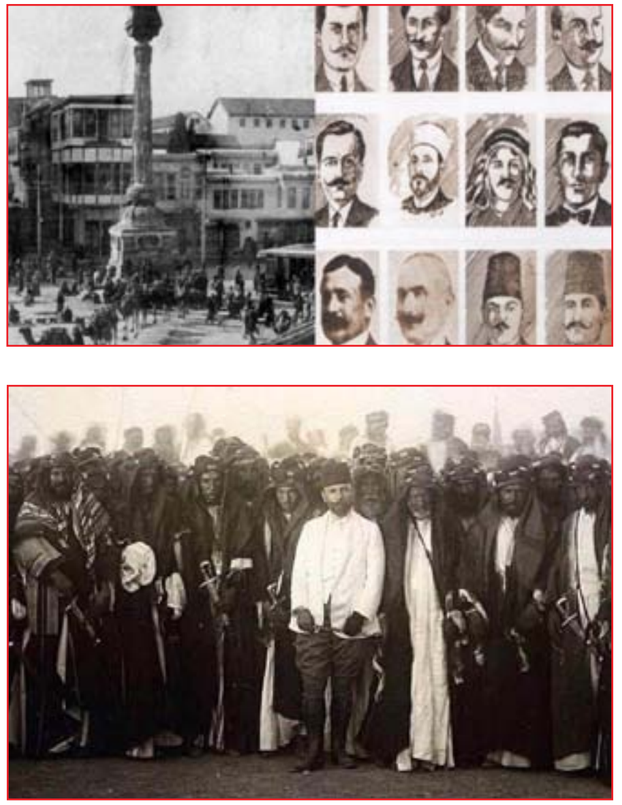

من الوقائع التاريخية في تاريخ العراق الحديث ، واقعة مفصلية في التأريخ العربي المعاصر، وهي واقعة تنفيذ حكم الإعدام، بالوطنيين العرب الأحرار، في كل من دمشق وبيروت، على يد الوالي العثماني «جمال باشا السفاح»، وذلك يوم الخامس من أيار من العام ١٩١٦.

لا شك في محورية هذه الواقعة الأليمة، ضمن سياق تواتر الوقائع، التي أفضت الى إندلاع الثورة العربية الكبرى، التي قادها الشريف الحسين بن علي في الحجاز، بعد أن شهد نجله الأمير فيصل تلك الواقعة، خلال مروه في الشام عائدا من الإستانة الى الحجاز، وقد تأثر كثيرا لجسامة الواقعة، التي ذهب ضحيتها باقة من رجال النهضة والفكر والمعانعة والتنوير في الأمة العربية.

وكان الأمير فيصل قد حاول جاهدا أن يثني الوالي جمال باشا السفاح عن تنفيذ جريمته النكراء، لكنه لم يفلح في ذلك، فكانت تلك الواقعة هي الشرارة التي أضرمت شعلة الثورة الحجازية، والتي امتدت جذوتها في أرجاء المدن العربية، معلنة ما عرف في أدبيات التأريخ العربي المعاصر، بالثورة العربية الكبرى، والتي كانت مخرجاتها، إنهاء الإستعمار التركي العثماني، الذي قبع خانقا أسباب النهوض العربي لمئات السنين، في الفترة العربية المضلمة، لتبدأ مرحلة النهوض والتحرر القومي العربي، في إمتداداتها المقاومة للوريث الإستعماري البريطاني، الأكثر قسوة وبشاعة.

ومع أن الواقعة بذاتها تستحق التوقف والإستذكار، والتخليد والتمجيد لدماء الشهداء الأبطال العرب، في أية بقعة من الوطن الكبير، غير أن المقاربة للواقعة، من زاوية تزامنها بواقعة شقيقة لها، هي التي استدعت الإستذكار في هذه الورقة، للأسباب التي لا تقل أهمية ومحورية عن سابقتها.

فمن المفارقات، المقصودة ربما، هو تنفيذ حكم الإعدام بأحرار الحلة، على يد الوالي «عاكف بيك»، بنفس اليوم الذي نفذ به حكم الإعدام، بالوطنيين العرب، في كل من دمشق وبيروت، على يد «جمال باشا السفاح»، والتي تعرف بأسمائهم «الشهداء»، إلى اليوم، ابرز ساحات العاصمتين العربيتين، والتي شكلت إحدى أهم أسباب الثورة العربية الكبرى، إذ إنتهت بتحرير دمشق، على يد قوات الأمير فيصل، التي ستكون أول دولة عربية في التاريخ المعاصر، في قلعة العروبة سوريا، حيث نودي بالأمير فيصل ملكا فيها.

وللأسف لم ينصف مؤرخوا العراق، نفس الحدث الذي وقع بنفس اليوم، ولنفس الأسباب، وبنفس الأهمية والنتائج، سوى تغيير المكان، كما أنصف وخلد أهل الشام وبيروت، ذكرى شهدائهم، إذ فسّر بعضهم اشتباها أو بقصد، القمع الذي واجهته الحلة وأحرارها، «بأعمال تأديبية لقطاع الطرق»، ومنهم أستاذي الجليل، الدكتور المؤرخ عماد عبد السلام رؤوف، في تحقيقه لمذكرات السيد علي البازركان، في كتاب «الوقائع الحقيقية للثورة العراقية»، في مداخلته على كتاب الشيخ فريق الفرعون، الموسوم «الحقائق الناصعة للثورة العراقية»، إذ ساق مؤلفه السيد البزركان، مثل هذا الرأي، ولم يعلق الأستاذ عليه ولم يخالفه، كمحقق باحث مقتدر.

ولذلك برغم إنتماء الشهداء المغدورين، لخيرة الأسر الحلية، ومنها آل شهيب أسرة الأستاذ الدكتور عبد المهدي البصير، شاعر الثورة العراقية ومؤرخها، وآل علوش أسرة الدكتور ناجي علوش، معاون رئيس جامعة بغداد سابقا، والشاب صاحب عبد الرضا الميرة، «وهو خال والدة كاتب السطور»، وغيرهم، ممن لا ينطبق عليهم ذلك الوصف مطلقا، الذي ورد في الكتاب المذكور، فضلا عن السياق الفلسفي التاريخي، والبحثي التحليلي للأحداث والوقائع، وليس المطلوب إقامة النصب التذكارية لهم، كما فعل الأشقاء، وهو أقل إستحقاقاتهم الوطنية التاريخية، ولكن بوصفه واقعتهم بما تستحق على الأقل، وإنصاف الوطن وتراثه فيهم.

النتائج التأريخية لمقدمات نهضة الحلة في سياق الثورة العراقية

لقد شكلت أحداث ومجازر «مدينة الحلة» في مايس ١٩١٥، والتي تمثلت بإعدام مجموعة من الوطنيين الأحرار، واستباحة المدينة على يد واليها عاكف بيك، وبعض أعمال القمع الأخرى، في الكثير من المناطق القبلية العربية، ومن بينها الأكرع وعنزة وغيرها، إحدى أسباب الإنتفاضة في النجف، فكان رد الفعل فيها، أن طردت حاميتها التركية، ورفع العلم العربي فوقها، وحكمت البلدة نفسها مستقلة منذ ذلك الحين، بعد تمكن النخب المتنورة فيها، من عزل الأهداف السياسية عن الدينية[٢].

وكان المراجع وقتئذ، لازالوا مستمرين بالجهاد «الشرعي»، إلى جانب القوات التركية، الذي شرع بقيادته الزعيم الديني والوطني، الشهيد السيد محمد سعيد الحبوبي[٣]، برغم ثقل الآلام التي تركها الإستعمار التركي الجائم على البلاد، غير أن القرار كان مع مقاومة الغازي البريطاني المحتل، في إسناد عمليات الدفاع للقوات العثمانية، فكانت معارك الشعيبة وتل اللحم، التي سطر فيها المقاومون العراقيون ملاحم بطولية، تسجل في تأريخ العراق المعاصر[١].

وبعد إستشهاد الزعيم الحبوبي، في مدينة الناصرية، متأثرا بجراحه وإجهاده البدني والنفسي، واصل معاونوه المقاومة والقتال، ضمن عمليات الدفاع التراجعي، حتى وصلوا مع القوات التركية العثمانية المدافعة الى بغداد، أمثال أنجال السيد الحيدري، والناشط الوطني القومي السيد أبو القاسم، نجل السيد مصطفى الكاشاني، وزميله السيد جواد الزنجاني، الذين شاركا لاحقا بتنظيم العمل الوطني والقومي العروبي في بغداد والكاظمية[٤].

ونتيجة ليأس العراقيين، من الوعود التي قدّمتها بريطانيا، بالانصياع للمطالب التي قدمت، خاصة بعد انتهاء الأعمال الحربية مع تركيا، بدأت سلسلة من فعاليات المقاومة، ومنها عملية تلعفر التي نفذها الضباط العراقيون، العائدون من قيادة الثورة العربية في الحجاز، بقيادة الشريف حسين، والدولة العربية التي تأسست في سوريا، بقيادة نجله الأمير فيصل، في العام ١٩١٩، وكان قد إعتمد جهازها العسكري القيادي والإستشاري، على نخبة الضباط العراقيين، المنسحبين من خدمة الجيش العثماني، والذين تولوا لاحقا، المسؤوليات السياسية، في تأسيس الدولة العراقية[٥].

وقد سبقت أحداث تلعفر، الأعمال القتالية في مدينة النجف في العام ١٩١٨، التي عرفت تأريخيا بثورة النجف، والتي أسفرت عن مقتل الحاكم السياسي في النجف، الكابتن وليم مارشال، في ١٩ آذار ١٩١٨، وأعقب الحادث حصار للمدينة دام (٤٩) تسعة وأربعين يوما، وقيام الثوار بأسر الحامية البريطانية في النجف، ونتج عن الثورة إعدام وأسر ونفي قرابة (١٥٠) مائة وخمسين ثائر نجفي[٦].

وكانت النجف قد سبقت الأحداث، منذ العام ١٩١٥، استجابة وتحدياً للأسلوب القمعي للقادة العسكريين الأتراك، أمثال أحمد بيك أورك، الذي صرح بإهانة المتطوعين في المقاومة أنه «على تركيا إعادة احتلال العراق وتأديب القبائل الفراتية ثم قبائل دجلة»، بوصفهم الخونة، فكان من نتاجها، مجازر مدينة الحلة، وإعدام ثوارها وشبابها القومي، على يد واليها «عاكف بك»، رغم التضحيات الكبيرة التي قدمها العراقيون، ليس لأجل الدولة العثمانية التركية، ولكن لأجل وطنهم، وكانت هذه المواقف، للقادة الأتراك، إحدى أسباب إندحارهم، وقد سبق أن إنتحر القائد التركي السابق في عمليات البصرة، سليمان عسكري بيك، ندما على مواقفه وسوء ظنه بالمقاومين العراقيين.

لا يمكن للشعوب أن تحيا كريمة في حاضرها، وأن تتطلع لمستقبلها، بعين الإشراق والنهوض الحضاري، دون أن تستقرئ تأريخها، وتقف على الأسباب الرافعة لكينونتها وإزدهارها، وقد يكون الحاضر المرير للعراق وطنا وشعبا، وثقل إرهاصاته وتداعياته وآلامه، مانعا للإستذكار والوقوف على العلامات المشرقة في تأريخه، غير أن واجب القلم وشرف الكلمة، لاغضاضة أن يكون لهما فسحة في رفع الصوت الجاهر، ورمي الحجر في بركة الركود.

عن (الحوار المتمدن)

نص نادر

العمرة (لباس الرأس) عند العراقيين

محمد باقر الشبيبي

إذا جاور قوم قوماً آخر يختلف عنه في لبسه وأكله وشربه ونومه وقعوده وقيامه وأمور معيشته ولسانه ونحو ذلك لا يبطأ أن يدخل شيئاً من أحوال جاره في شؤونه، وكلما اعتقد فيه السيادة عليه كثر اقتباسه منه. وهكذا الأمر في أهل العراق. فإنهم لما خالطوا الفرس والترك وسائر الأعاجم أخذوا منهم شيئاً كثيراً مما يتعلق بشؤون أفقتهم ومجتمعهم ولاسيما بما يتعلق بلباسهم. وهانحن نذكر هنا ما يتعلق بعمرة الرجل أي بما يلبسه على رأسه وهي لفظة عربية فصيحة يقابلها عند الإفرنج كلمة فنقول:

١ - العرقجين

بفتح العين والراء المهملتين وإسكان القاف وكسر الجيم المثلثة الفارسية وإسكان المثناة التحتية وفي الآخر نون، لفظة تركية فارسية الأصل مركبة من كلمتين وهما: (عرق) بالمعنى المشهور العربي وهو رشح الجلد. و (جين) الفارسية بمعنى جامع أو لام. ومحصل معناهما: (جامع العرق أو لامه. وبعضهم يزيد على آخره هاء فيقول (عرقجينة) وهو قليل. والمشهور الأول. ويراد بها سكبة أي خرقة تقور للرأس تكون في أغلب الأحايين من نسيج القطن تلبس تحت الطربوش أو الفينة (اسم الطربوش عند العراقيين). وقد تلبس وحدها في المنزل أيام الحر الشديد، أو قد تلبس ويلف عليها العمامة أو توضع عليها الكوفية المعروفة عند العراقيين باسم الكفية: - ولكون هذه العمرة تتخذ لكي تمتص العرق عرفت أيضاً باسم العرقية بفتح الحرفين الأولين. قال صاحب التاج في مستدرك ع ر ق: (العرقية محركة: ما يلبس تحت العمامة والقلنسوة مولدة.) أهـ. وكان أهل العراق أول من اقتبسها عن الفرس لمجاورتهم إياهم. ولشدة حر صعقهم. ثم انتقل بها قوم إلى ديار الشام فتعلم الشاميون منهم اتخاذها ولهذا سموها (عراقية) نسبة إلى العراق. قال في محيط المحيط: العراقية من ملابس الرأس تلبس غالباً تحت الطربوش). ثم زاد على ذلك قائلاً: والمشهور عند العامة العرقية) وضبطها بإسكان الراء.

وقد جاءت العرقية في بعض نسخ كتاب ألف ليلة وليلة (راجع طبعة برسلو ٢٦٠: ٩ و٣٢٩: ٤) وقد وردت مرة بصورة عرقية وأخرى بصورة عراقية. على أن (العرقية) أقدم ذكراً في كتب المولدين من (العراقية) فقد جاءت العرقيات في كتاب اللطائف للثعالبي (ص ١١٢ س ١٠) وقال عنها أنها تصنع في طبرستان.

وكان أهل الشام يريدون سابقاً بالعرقية غير ما يريدون بها اليوم. فقد ذكر روجه في كتابه (الأرض المقدسة) ما تعريبه: تلبس المرأة على رأسها نوعا من التاج يكون من فضة ويسمونه عرقية (بإسكان الراء) ويكون بهيئة مخروط. وقال في ص ٢٠٤: (على رؤوس نساء أمراء البادية تاج من فضة مخروط الشكل يلفقن عليه لفافة من الحرير الأسود مطرزة باللآلئ والحجارة الكريمة). أهـ. فيؤخذ من هذا الوصف أن ما كان يسمى عرقية سابقاً هو المسمى عند اللبنانيين بالطرطور الذي حظر استعماله الكهنة بعد حادثة ١٨٤١ و١٨٤٥. وقد جاءت العرقية بهذا المعنى في كتاب ألف ليلة وليلة قال: و على رأسها خوذة بالذهب مطلية، وعرقية فولاذ وزردية. وفي بعض النسخ وردت كلمة بيضة بدلاً من عرقية.

فالعرقية بإسكان الراء لغة أهل الشام. وبفتحها لغة أهل مصر والمغرب وبعض أهل العراق.

وأهل مصر يسمونها أيضاً (طاقية) وقد وردت في كتب المولدين وذكرها ابن بطوطة في رحلته والمقريزي في كتابه الخطط والآثار. ومن أسمائها المعرقة (وزان مدرسة) وكان يعرفها بهذا الاسم بدو ديار الشام قبل نحو قرن. أما اليوم فاللفظة بهذه الصورة مماتة عندهم. ومن أسمائها الحالية (الحدرية) (بكسر الأول) ويعرفها بهذا اللفظ أهل بادية العراق وبعض سكان مدن العراق كأهالي الشطرة والحي والناصرية أو المركز وسوق الشيوخ والكلمة مشتقة من حدر الجلد العرق: إذا سأل به. فهي والعرقية من معنى واحد وإن اختلف المبنى. وأما لفظة العرقجين فيعرفها أهل مدن العراق الكبيرة كبغداد والبصرة والنجف وكربلاء وبعض أهالي البادية الذي يختلفون إلى المدن.

وتختلف هيئة العرقجين باختلاف أهل المدن وأعمارهم. فمن العرقجينات ما هو طويل محرب كثير النقش والتطريز والتزويق. وهذا تتخذه غالباً الفرس والهنود الموجودون في العراق. - ومنه ما هو على هيئة نصف كرة. وهذا يلبسه العرب العراقيون وبعض الفرس الموجودين بين ظهرانينا. - ومنه ما هو على شكل مثلث تسميه النساء العراقيات (كاوورية) بكاف فارسية مثلثة يليها ألف بعدها واوان: الأولى مضمومة والثانية ساكنة يعقبهما راء مهملة ثم ياء مشددة ثم هاء نسبة إلى الكاوور وهو عند العراقيين المسلمين اسم النصارى والكفار والمجوس. وقد نسبت إليهم كأنهم هم الذين أول من استعملها على هذه الهيئة. والمسلمون يتخذون هذا النوع من السكبة لأطفالهم خاصة.

٢ - الفينة والطربوش والفيس والفس والشاشية والغفارة

العراقيون يسمون الطربوش (فينة) بفاء مكسورة وياء مثناة تحتية ساكنة ونون مفتوحة وهاء في الآخر. والطربوش هو الاسم الشائع في سائر البلاد العربية اللسان. والفينة تصحيف فينة بفاء مثلثة وهي اسم حاضرة بلاد النمسة لأن أهل هذه الديار كانوا يجلبونها في السابق من تلك العاصمة فأضيفت إليها ثم حذف المضاف على ما هو مستفاض في لغة العرب. أما الطربوش فهو تصحيف سربوش أي غطاء الرأس بالفارسية. قلبت فيها السين تاء على لغة شائعة عندهم (لغة العرب ١: ٢٥٣ و٢: ١٧٦) ثم فخمت التاء فصارت طاءً فقالوا طربوش كما في القتر والقطر وهرت الثوب وهرطه. والمتلئب والمطلئب وغيرها كثير. وأما الفيس فهو كلمة فاسي بالأمثلة وفاس قاعدة مراكش. وكان يجلب منها أيضا هذا النوع من العمرة، فأضيفت إليها. ثم حذف المضاف كما جرى الأمر في فينة. وبعضهم يقول فس وزان تل. ولم يرد من هذه الألفاظ في كتب المولدين إلا كلمة طربوش. من ذلك في بعض نسخ كتاب ألف ليلة وليلة في قوله وكان عليه كما ذكرنا الطربوش والشاش. - ونظن أن لفظة الفينة قديمة أيضا في العراق لأن الرحالة الإفرنسي أوليفية المتوفى سنة ١٨١٤ يقول في رحلته في كلامه عن نساء بغداد: وفي زينتهن المألوفة يكون على رؤوسهن فينة سوداء من القطيفة (المخمل) تتدلى إلى الوراء لها عثكولة (بسكولة أو شرابة) من الإبريسم أو من الكلبدون (خيوط الذهب) فإن كانت العثكولة من خيوط الذهب (الكلبدون) فظاهر الفينة يكون مغشى بالقصب (بشريط الذهب) وتثبت هذه الفينة على الرأس بلفافة من شال قشمير.

وأما لفظة فيس أو الأصح فس فمأخوذة من التركية لأن الترك يلفظون مدينة فاس التي كانت تصنع فيها هذه العمرة (فس أو فيس) وعوام بغداد يقولون إلى يومنا هذا (فيس رنكى) أي (لون الطربوش) إذا أرادوا أن يعرفوا لونا من الألوان الحمراء يكون بلون الطربوش.

وفي سابق العهد كان أهل مصر يسمون هذه العمرة (شاشية) كما يعرفها بهذا الإسم أهل المغرب إلى يومنا هذا. وهم يعرفون أيضاً من مراد فاتها الطربوش. - وأما عرب الأندلس فكانوا يسمونها غفارة بكسر الغين وهو أفصح ما جاء في هذا المعنى. قال في تاج العروس: (المغفر كمنبر والمغفرة بهاء أو الغفارة ككتابة: زرد من الدرع ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة. ويقال: هو رفرف البيضة. . . قال ابن شميل: وربما كان المغفر مثل القلنسوة غير أنها أوسع يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع ثم تلبس البيضة فوقها. فذلك المغفر يرفل على العاتقين. وربما جعل المغفر من ديباج وخز أسفل البيضة. . . . وربما يعنوها وظهروها بديباج أو خز أو بزيون. هكذا ضبطها أبو عبيدة. وحشوها بما كان. وربما اتخذوا فوقها قوساً من نضة. وغير ذلك. انتهى. قلنا: فإطلاق اسم الغفارة على الطربوش فسيح إذا من باب التوسع ومن باب إبقاء الاسم على مسماه وإن تغيرت مادته فاحفظه تصب إنشاء الله تعالى.

النجف:محمد باقر الشبيبي

مجلة (لغة العرب) . العدد ١٩ - بتاريخ: ٠١ - ٠١ - ١٩١٣

الطريقة البغدادية في قراءة القرآن الكريم

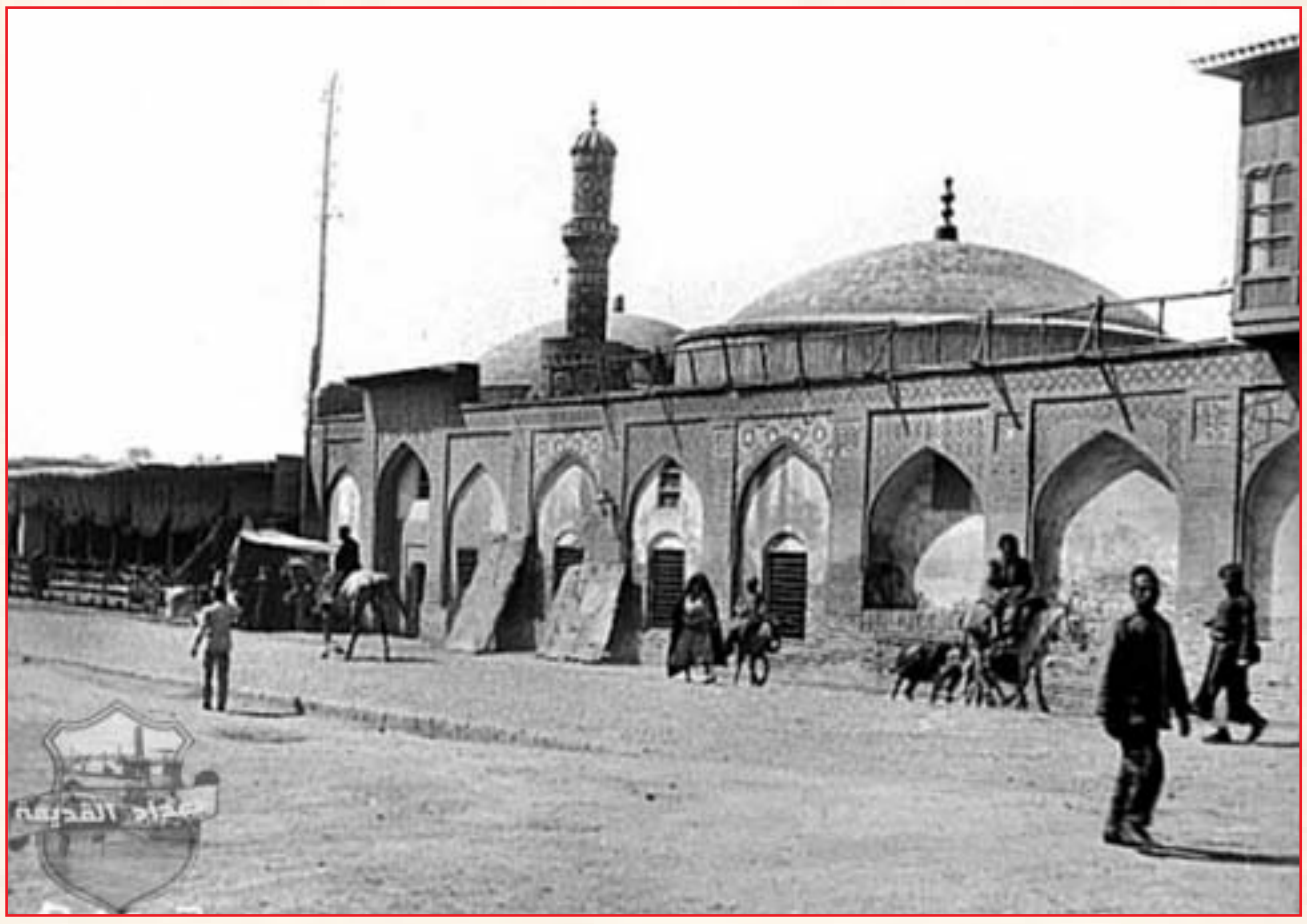

رفعة عبد الرواق محمد

اذا ذكرت مدارس التلاوة القرآنية ، ذكرت الطريقة البغدادية في طليعة القراءات واكثرها انسجاما مع التراث النغمي العربي ، واكثرها حفاظا على التنوع المقامي واصوله التي درج عليها مؤدوه . وقد حافظت الطريقة البغدادية على ما توارثته عبر اجيال من القراء حتى العصر الحديث وشيوع مدارس اخرى ، كالطريقة المصرية التي وجدت لها في العراق مستمعين كثيرين لشيوع استخدام الراديو وزيارات القراء المصريين للعراق . غير ان الطريقة البغدادية استقرت في ذاكرة بغداد ووجدانها . وحفظ تراث الرواد من اعلامها وتتناقله الاجيال بكل تجلة واعجاب . وبرزت اسماء كبيرة كالملا عثمان الموصلي وجاسم السلامة والحافظ مهدي العزاوي وملا خماس وعبد الفتاح معروف ومحمود عبد الوهاب وعبد القادر الخطيب وعبد الستار الطيار وعبد المنعم ابو السعد وحيدر الجوادي وعلي حسن داود وقصي ابو السعد وعبد المعز شاكر ومحي الخطيب وعلاء القيسي وغيرهم ممن خانتنا الذاكرة بذكرهم .

يكتب كمال النجمي عند حديثه عن المقرىء الكبير مصطفى اسماعيل :

في العصر الحديث بلغت تلاوة القرآن الكريم بألحانها أوجها، وبرز فيها أعلام كبار، وبخاصة في مصر، التي كانت دائماً موئل قراء القرآن في جميع العصور، وظهر فيها أعظم القراء وأكثرهم شهرة في العصر الحديث. ولا سيما بعد انتشار الإذاعات ونقلها أصوات هؤلاء القراء إلى كل الأمصار، ثم جاءت أشرطة الكاسيت فسجل عليها القراء تلاوتها بالألحان ومن دون الألحان. وكانوا قبل اختراع هذه الأشرطة يحجمون عن تسجيل تلاواتهم على الاسطوانات. مما أضاع على المستمعين كنزاً عظيماً من القراءات لأصوات كبار قراء الجيل.

ويبقى الحافظ خليل اسماعيل شيخ الطريقة البغدادية والمثل الاعلى في ادائها ، ومن محاسن الايام ان يحفظ تراث هذا الرجل في صدور محبيه وفي الات الحفظ الحديثة ليبقى ثروة اقرائية وفنية للاجيال التالية . ومن محاسن ايامي – وما اقلها – ان التقيت بالحافظ خليل اسماعيل لمرات عديدة في بيته في منطقة العطيفية ، وكان غير بعيد عن بيتي ، وسمعت منه الشيء الطيب عن طريقته في التلاوة وتاريخها . وكان كثيرا ما يؤكد ان الطريقة العراقية تخضع لمذهب حفص ابو عمرو بن سليمان من القراءات السبع المجمع عليها ، وقد عاش حفص في البصرة واتصل بالخليل بن احمد الفراهيدي ثم نزل ببغداد وقرأ بها ... واكد ان العراقيين يعشقون هذه الطريقة ولايفضلون غيرها ، ومن الطريف ان الملا عثمان الموصلي قرأ بالقراءات السبع لمعرفة ردود افعال مستمعيه ، فوجد انهم لايستسيغون غير طريقة حفص التي درج عليها القراء منذ القدم .

وعندما جاء ذكر المقام العراقي وتاثر قرائنا به قال ان تاثرنا واضح جدا ، كالحويزاوي والجاركاه والزنكان والمخالف والخنبات والشطراوي والعنيسي والمصلاوي والخابوري والمثنوي وسواها . وعندما زار الموسيقي العربي سامي الشوا بغداد ، اكد علينا بالمحافظة على القراءة العراقية وقال انها مدهشة ، مع انه رجل قبطي لكنه فنان كبير وله ذائقة دقيقة . وذكر انه تاثر كثيرا بالاستاذ محمد القبانجي وكان صديقا له ، وبعده رشيد القندرجي والحاج سلمان الكفجي وجميل بغدادي وغيرهم من القراء الكبار . واضاف انه لم يأبه بالمواليد ويرى انها صنعة متعبة واحيانا تستهلك القاريء على الرغم من وجود الكثير من اللمحات الفنية التراثية الجميلة . ومن الطريف انه كلن يقول ان المواليد من شغل صوب الرصافة واهل باب الشيخ !! . وانه صديق اغلب قراء المواليد مثل ملا خماس وعبد الستار الطيار وملا طه الشيخلي وملا ابراهيم ابو جريشة . ويقول انه حاول مرة قراءة المواليد في جامع ثريا بالكرخ واجاد .

كان جَوّادًا في قراءته، ينفعل بالآية الكريمة، انفعال المتّقين، فيبث لنا مما هداه الله فيضًا من المشاعر الإيمانية، التي تدل المستمع لإدراك فحوى الآية الكريمة، كي يترك للذهن تركيزه في استحضار الخشوع الناتج عن حسن التلاوة، وبديع البلاغة القرآنية، فيزداد التدبّر والتأمّل، واستحضار الحالة، التي كان شيخنا يقترب فيها من الأداء التمثيلي في تعبير صادق يناسب الصدق القرآني، فهو يعبر بكل ما أوتي من نبرات صوتية موصولة ومقطعة تثبت تمكنه من حسّ به شخصية كاملة النضج فيها يتجاوز في الأداء حدود التعبير إلى آفاق أخرى أكثر جمالا وروحانية، وكأنه رسول المعنى القرآني، يجعل المستمع يذوب عشقا في كتاب الله،

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (6094) السنة الثالثة والعشرون -
الاثنين (23)شباط 2026

www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين

سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون